موقف أبي إسحاق الزجاج من القراءات القرآنية

-دراسة في "معاني القرآن وإعرابه" -

أ. عبد الناصر بن طناش

جامعة الأمير عبد القادر

يعد أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف باسم الزجاج[1] أحد أبرز أعلام النحو العربي في نهاية القرن الثالث و بداية القرن الرابع الهجري. فقد عاش في فترة هي من أخصب العصور الفكرية في التاريخ العربي؛ نضجت فيها ثمار العلوم على اختلاف أنواعها و غنيت بعلماء كثيرين ذوي شهرة واسعة في شتى العلوم. و كان الزجاج أحد وجوه هذا العصر، حيث تتلمذ على يد أبي

---

[1] الزجاج لقب اشتهر به لأنه كان يخرط الزجاج قبل أن يلتحق بحلقات العلم توفي سنة(310 هـ)تنظر ترجمته في:

طبقات النحويين و اللغويين: أبوبكرالزبيدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.الخانجي الكتبي.مصر.1954 ص 121.

وأنباه الرواة على أنباء النحاة: جمال الدين القفطي. تح محمد أبو الفضل محمد إبراهيم.دار الكتب المصرية القاهرة.1950.ج1 /159.

وبغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة:السيوطي.تح محمد أبو الفضل إبراهيم.ط1.مطبعةالحلبي.مصر.1965.ج1/411.

العباس ثعلب (ت 291 هـ) وارث علم الكوفيين؛ ثم سرعان ما التحق بحلقة المبرد النحوي (285 هـ) رأس المدرسة البصرية، وذلك حين قدم إلى بغداد. والزجاج في الأصل بغدادي[1] غير أنه كان أشد لزوما لمذهب البصريين كما يقول أبو سعيد السيرافي[2] (ت 368 هـ) و بهذا يكون الزجاج قد تعمق في درس النحو وانفرد بمذهب خاص به[3] ميزته آراؤه المبثوثة في كتب النحو[4]. كما عاصر الزجاج الإمام أحمد ابن موسى بن مجاهد (ت 324هـ) شيخ القراء وصاحب الكتاب المشهور"السبعة في القراءات"،والذي أتم إنجازه حوالي سنة(300هـ)إلى جانب كتابه الآخر" الشواذ من القراءات" .

و بهذين العملين اتضحت معالم القراءات و أصبح الناس فيها على بينة من أمرها متواترها و شاذها. و قد يكون الزجاج انتفع من هذين الإنجازين لاسيما و أنه نبه في كتابه" معاني القرآن و إعرابه" على الضوابط الأساسية لتمييز القراءة الصحيحة من غيرها،و حتى و إن لم يكن انتفاعه منها مباشرا فإنه يكون قد" ألم بقراءات اللغويين و معظمها من الشواذ لهذا نجده يتردد في غير موضع فيقول يجوز في هذه الآية كذا و كذا إن كان قرئ به أو هذا ما تجيزه

---

[1] تاريخ النحو العربي منذ النشأة للآن.د علي محمد فاخر. 1988.ص72و76.

[2] أخبار النحويين البصريين:أبو سعيد السيرافي تح.ع المنعم خفاجي.دار الجيل.لبنان.2004. ص 136. و ينظر نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة: محمد الطنطاوي.ط3.دار المعارف.مصر.2005م ص 172.

[3] معاني القرآن و إعرابه:أبو إسحاق الزجاج.تح د.ع الجليل عبده شلبي.عالم الكتب. بيروت. 1988 ج17/1.

[4] المدارس النحوية: شوقي ضيف.ط9.دار المعارف. القاهرة.2005. ص 136و ما بعدها.وينظر تطور النحو العربي في مدرستي البصرة و الكوفة:د. طلال علامة. دار الفكر اللبناني.بيروت.1993. ص172- 173

اللغة، ولا تقرأن به حتى تثبت رواية صحيحة أنه قرئ به و هكذا."[1] وبهذا يكون الزجاج قد صنع لنفسه ثقافة لغوية نحوية قرآنية ميزت فكرة اللغوي ومنهجه في التعامل مع قضايا النحو وقضايا القراءات القرآنية خاصة .

و سأحاول -من خلال هذه الدراسة – أن أقف عند أبرز الموافق التي تميز معالجة الزجاج للقراءة القرآنية، ومن ثمة تفسير علاقته بها في قبولها و ردها وتقديمها و تأخيرها.

-القراءة القرآنية سنة ورسم يتبعان.

إن المتأمل في طريقة الزجاج ومذهبه وهو يعالج القراءة القرآنية في كتابه "معاني القرآن وإعرابه" يلمح معلما بارزا لا يكاد يحيد عنه.و هذا المعلم البارز يجعل منه رجلا أثريا نقليا فيما يتعلق بقبول القراءة وردها . فكثيرة هي الوجوه المقبولة عنده , والأحكام الصادرة عنه تتقاطع مع تلك الضوابط التي صاغها علماء القراءات بشأن القراءات الصحيحة والمقبولة عندهم .فصحة السند وموافقة الرسم العثماني والعربية[2]مرجعية يجب الاستناد والعودة إليها أبدا في التعامل مع القراءة القرآنية قبولا ورفضا وتحسينا وتهجينا ، يقول الزجاج في توجيه لفظ (رهان) من قوله تعالى " فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ " البقرة/ 283 ، وهذا بعد عرضه للأوجه المختلفة في قراءة اللفظ "والقراءة على(رُهُن) أعجب إلي لأنها موافقة للمصحف،وما وافق المصحف وصح معناه و قرأت به القراء فهو

---

[1] معاني القرآن و إعرابه ج19/1

[2] النشر في القراءات العشر لابن الجزري.مراجعة علي محمد الضباع.بيروت.دار الكتب العلمية ج9/1

المختار...."[1]. فقد ذكر الزجاج الأركان الثلاثة التي أوجبها علماء القراءات من موافقة المصحف في رسمه و صحة المعنى ثم إسناد القراءة إلى القراء.

والمستقري لكتاب "معاني القرآن و إعرابه" يقف مع الزجاج في مواطن كثيرة على عبارات وألفاظ تنص وتؤكد على ضرورة أن تكون القراءة أو وجه القراءة سنة متبعة.[2]

و هذا يعني أن ما يقرأ من آيات الكتاب لا بد أن يكون ثابت النقل والرواية عن الرسول صلى الله عليه و سلم عن طريق العلماء و القراء الموثوق بهم،و ثابت الرسم للمصحف العثماني،و بالمقابل لا تجوز القراءة و لو وافقت النطق العربي الفصيح إذا اختل أحد هذين العنصرين.و بهذا المفهوم يكون الزجاج قد وضع يده في يد علماء القراءات ذلك أن "أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة و الأقيس في العربية،بل على الأثبت في الأثر و الأصح في النقل و الرواية .

إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية و لا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة يلزم قبولها و المصير إليها."[3] يقول الزجاج مناقشا و موجها حذف النون من اسم الفاعل المضاف في قوله تعالى :" مُلاَ قُوا رَبِّهِمْ" البقرة/46. إن"معنى (ملاقوا ربهم) ملاقون ربهم لأن اسم الفاعل هاهنا نكرة و لكن النون تحذف استخفافا."[4] ومن ثمة فلا يجوز إثباتها لمخالفتها رسم المصحف" و لا يجوز أن يقع شيء

---

[1] معاني القرآن و إعرابه. ج367/1

[2] ينظر مثلا ج45/1 – 482 وج93/2- 182- 188

[3] النشر في القراءات العشر ج10/1-11

[4] معاني القرآن و إعرابه.ج127/1.

في المصحف مجمع عليه فيخالف لأن اتباع المصحف أصل اتباع السنة.[1]

و لأن الزجاج حريص كل الحرص على ملازمة السنة و اتباع الأثر فإنه يعضد مسلكه هذا بما تؤول إليه الآية من دلالة توجب قبول الوجه المختار عنده أو رده .و نلمس هذا في توجيه لفظ" الظَّالِمِين " بين الرفع و النصب من قوله تعالى:"...قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي.قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين." البقرة/124 حيث يرى أن الآية" قد قرئت " لا ينال عهدي الظالمون" و المعنى في الرفع و النصب واحد .....

و القراءة الجيدة هي على نصب الظالمين."[2] ،ثم يعلل الزجاج اختيار وجه النصب" لأن المصحف هكذا فيه"[3]، و تبقى القراءة الأخرى بالرفع جيدة بالغة، غير أن الزجاج لا يقرأ بها و يحث على عدم القراءة بها لأنها خلاف المصحف [4]، ثم يدعم وجه اختياره بما تؤول إليه الآية من معنى"لأن المعنى أن إبراهيم عليه السلام كأنه قال واجعل الإمامة تنال ذريتي واجعل هذا العهد لا ينال ذريتي، فهو على هذا أقوى".[5]

---

[1] المصدر نفسه ج1/127.

[2] المصدر نفسه ج1/205.

[3] المصدر نفسه ج1/205.

[4] المصدر نفسه ج1/205.

[5] المصدر نفسه ج1/205.

و مع أن لغة النصب في (الظالمين) هي اللغة المشهورة من جهة الرواية والنقل[1] فإن وجه الرفع وارد أيضا و المعنيان متقاربان لأن كل ما نلته فقد نالك[2].

و بهذا المسلك يتأكد أن الزجاج أثري نقلي، و الأولوية عنده في ترجيح وجه القراءة الصحيحة ثبوت روايتها و القراءة بها،و لو افترض وجود وجه حسن أو جيد أو بالغ الجودة من جهة العربية فإن الزجاج لا يعتد به إلا حين تثبت روايته،بل لا يكفي مجرد الرواية بل يجب أن تكون صحيحة النقل.فلفظ (إِكْرَاهَ) في قوله تعالى:" لاَ إِكْرَاهَ في الدين" البقرة/256.هو" نصب بغير تنوين، ويجوز فيه الرفع(لا إكرَاهُ) ولا يقرأ به إلا أن تثبت رواية صحيحة"[3] فكل قراءة رويت و لم تصح فهي مردودة عنده، ولفظ(القَيُوم) في قوله تعالى:" اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ" آل عمران/ 2 رويت بلفظ(القَيِّم)، و روي عن عمر وابن مسعود أنهما قرءا(القَيَّامُ)[4] و لكن الزجاج يرى أن الوجه الذي ينبغي أن يقرأ ما

---

[1]التبيان في إعراب القرآن:أبوالبقاء العكبري. القاهرة.المكتبة التوفيقية.1980.ج1/61 وينظر.جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري.ضبط. صدقي جميل العطار.ط1.بيروت دار الفكر.2001.ج1/676.

[2]معاني القرآن.أبو زكريا الفراء: ط2.بيروت.عالم الكتب.1980.ج1/76.و قراءة الرفع في (الظالمون) منسوبة إلى عبد الله بن مسعود في جامع البيان ج1/676،و عند أبي حيان الأندلسي منسوبة إلى أبي رجاء و قتادة والأعمش.ينظر البحر المحيط:أبو حيان الأندلسي.بيروت.دار الفكر.2005.ج1/604.

[3]معاني القرآن و إعرابه.ج1/338.

[4]معاني القرآن و إعرابه.ج1/373.و قراءة(القَيِّم) نسبت في البحر إلى علقمة و(القَيَّامُ) إلى ابن مسعود و ابن عمر و علقمة و النخعي و الأعمش.البحر المحيط ج2/608.

عليه المصحف و هو القَيُّومُ بالواو".[1]،و تبقى رواية اللفظ بـ(القَيِّم) عنده أيضا وجه "جيد بالغ كثير في العربية،و لكن القراءة بخلاف ما في المصحف لا تجوز لأن المصحف مجمع عليه و لايعارض الإجماع برواية لا يعلم كيف صحتها".[2] فكون القراءة مخالفة لإجماع القراء و لم تتبين لدى الزجاج طريقها و صحتها فهي عنده مردودة بخلاف (القَيُوم) التي ثبتت صحتها و ثبت إجماع القراء عليها.[3] .

و ربما وجد الزجاج في العربية و نحوها وسيلة لتقوية مسلكه الأثري فلا يغفل ذكره في نفي الوجه أو إثباته كنحو ما ورد في توجيه لفظ (قَلِيلا) من قوله تعالى:"تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُم"البقرة/246 فالاختيار و الوجه عنده هو النصب (قَلِيلاً) كما نصت على ذلك الآية، وأما" من روى (تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُم) فلا أعرف هذه القراءة و لا لها عندي وجه لأن المصحف على النصب.و النحو يوجبها ".[4]

فعبارة " و النحو يوجبها " سند اعتمد عليه الزجاج في رفض وجه الرفع وتأكيد وجه النصب الذي عليه المصحف، ومن ثمة متى وجد الزجاج الوجوه النحوية خادمة للوجه الأثري استعان بها لتأكيد صحة الرواية والقراءة . ويقوي هذا المسلك توجيه قوله تعالى : " ..فَاتِّبَاعٌ بِمَعْرُوفٍ .." البقرة/ 178. يقول الزجاج : " ورفع فاتباع بمعروف على معنى فعليه اتباع ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعًا بالمعروف و أداء على معنى فليتبع اتباعًا و يؤد أداء ولكن الرفع

---

[1] معاني القرآن و إعرابه ج373/1.

[2] المصدر نفسه ج373/1.

[3] البحر المحيط ج608/2.

[4] معاني القرآن وإعرابه ج327/1.

أجود في العربية ؛ وهو ما في المصحف و إجماع القراء فلا سبيل إلى غيره ."[1]. وواضح من هذا النص كيف انطلق الزجاج من السند اللغوي النحوي ليقوي الوجه الأثري المختار وهو الرفع في لفظ (اتباع) .ومن المؤكد أن وجه الرفع في لفظ (اتباع) يبقي على التركيب النحوي بعد التقدير جملة اسمية في حين أن النصب فيه يجعل التركيب بعد التقدير جملة فعلية ، ومع أن التقديرين كلاهما له وجه في اللغة فان الأجود هو الرفع ؛ ذلك أن حذف الفعل عند أهل العربية ليس كثيرا كحذف الاسم [2] ، ومن ثمة يكون الأليق بكتاب الله تعالى ما تم الإجماع عليه قراءة وصحت روايته وفي الوقت نفسه تقاطعه مع الجيد من كلام العربية

-عرض أوجه القراءة المختلفة:

يبدو أن الزجاج -من هذه الوجهة - مختلف تماما عما عرفناه عنه من قبل وهو المدافع عن القراءة بالضابط الأثري و هو الموافقة للمصحف الشريف أو إجماع القراء. هنا نلمس معلما آخر يميز شخصية الزجاج النحوي الذي يسلك أحيانا مسلك الواصف للقراءة لا غير، و أحيانا أخرى المناقش المحلل للوجوه المختلفة المرجح لوجه من أوجهها، أو المختار لبعض الأوجه دون الأخرى... وبهذا يمكن القول أن الزجاج و هو يعالج القراءة القرآنية يكون قد سلك إزاءها مسالك مختلفة و منها:

أ- عرض أوجه القراءة دون تحديد موقف منها سواء أكان ذلك تفضيلا أو ردا أو ترجيحا... و يمكن أن نجد هذا المسلك في توجيه قوله تعالى:" ...

---

[1] معاني القرآن وإعرابه ج249/1

[2] المصدر نفسه (الهامش) ج249/1.

إهْبِطُوا مِصْرًا..." البقرة/61. فقد اكتفى بعرض الأوجه المختلفة للقراءة في لفظ (مِصْرًا) و دلالة كل وجه دون أن يتخذ منها موقفا محددا قال:" الأكثر في القراءة إثبات الألف، و قرأ بعضهم "اِهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ " بغير ألف. فمن قرأ (مصرا) بالألف فله وجهان جائزأن يراد بها مصرا من الأمصار لأنهم كانوا في تيه، و جائز أن يكون أراد (مصر) بعينها فجعل مصرا اسما للبلد فصرف لأنه مذكر سمي مذكرا، و جائز أن يكون (مصر) بغير ألف علما أنه يريد مصرا بعينها كما قال عز وجل "ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِين" يوسف/99 و إنما لم يصرف لأنه للمدينة،فهو مذكر سمي به مؤنث".[1]

ب- عرض أوجه القراءة الجائزة و اختيار وجه منها اعتمادا على سند نقلي أو لغوي أو مصر من الأمصار...و مما اختاره الزجاج باعتماده السند النقلي – وهو إجماع القراء على اعتبار أنهم مقدمون على أي سند آخر – ما ورد في توجيه قوله تعالى:"وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ،يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ " البقرة/54، حيث ذكر أن الوجه في (يا قوم) هو حذف الياء مع كسر آخر الحرف ، و هناك أوجه أخرى جائزة،غير أن هذا الوجه هو الأجود عنده، يقول:" و القراءة (يا قوم) بكسر الميم و هو نداء مضاف،و الاختيار فيه حذف الياء لأن الياء حرف واحد،و النداء باب حذف... و يجوز في الكلام أربعة أوجه،فأما في القرآن فالكسر و حذف الياء لأنه أجود الأوجه و هو إجماع القراء ،فالذي يجوز في الكلام أن تقول " يا قومِ إنكم" كما قرئ في القرآن، و يجوز يا قومي بإثبات الياء و سكونها .

---

[1] معاني القرآن و إعرابه.ج144/1.يريد الزجاج بلفظ (مصر) اسما لأي مصر من الأمصار وأطلقت على مدينة بعينها.و ينظر أيضا:ج321/1-324-344-390-403-405.

و يجوز يا قومِي بتحريك الياء، فهذه ثلاثة أوجه في الإضافة،و يجوز يا قومُ بضم الميم على معنى

يا أيها القومُ".[1]

و يمكن أن يكون السند لغويا نحويا يقوم على إجماع النحويين،كما يظهر في توجيه لفظ (عَرَفات)

من قوله تعالى:"... فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ " البقرة/198، حيث يرى أن " القراءة و الوجه الكسرو التنوين،و عرفات اسم لمكان واحد، و لفظه لفظ جمع، والوجه فيه الصرف عند جميع النحويين لأنه بمنزلة الزيدين يستوي نصبه و جره و ليس بهاء التأنيث، وقد يجوز منعه من الصرف إذا كان اسما لواحد إلا أنه لا يكون إلا مكسورا و إن أسقطت التنوين...".[2]

كما يمكن أن يكون السند ما عليه مصر من الأمصار كأهل المدينة و أهل البصرة يقوي عنده وجه القراءة،من ذلك ما أورده في توجيه لفظ (الدَّركِ) من قوله تعالى:" إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" النساء/145 و ذلك بفتح الراء في اللفظ و تسكينها " فأما أهل المدينة و أهل البصرة فيقرأونها (الدَّرَكِ) بفتح الراء، وأما أهل الكوفة و الأعمش و حمزة و يحيى بن وثاب فيقرأون (الدَّرْكِ) وقد اختلف فيها عن عاصم، فرواها بعضهم عنه (الدَّرَك) ، و رواها بعضهم (الدَّرْك) بالحركة و السكون و اللغتان حكاهما جميعا أهل

---

[1] معاني القرآن و إعرابه ج134/1و135،و ينظر أيضا ج384/1 و ج24/4

[2] المصدر نفسه ج272/1، و ينظر ج280/1و 326 و ج442/2.

اللغة إلا أن الاختيار فتح الراء لإجماع المدنيين و البصريين عليها و أن أحدا من المحدثين ما رواها إلا الدَرَكِ بفتح الراء فلذلك اخترنا الدَرَكِ".[1]

فالنصوص السابقة و غيرها كثير يوضح طريقة الزجاج في معالجة أوجه القراءة الجائزة ،كما يؤكد في الوقت نفسه تعدد السند الذي ينطلق منه الزجاج في الترجيح بين القراءات و اختيار الوجه الأنسب، لأن الذي يشغله في المقام الأول أثرية وجه القراءة.

ج- الجمع بين أكثر من وجه في الاختيار: وهذا مسلك آخر اتبعه الزجاج في تعامله مع القراءة القرآنية حيث يعرض لاختلاف أوجه القراءة ثم يسوي بينها في الحكم، و من ذلك ما أورده في توجيه قوله تعالى: "... فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا". البقرة/60. إذ يقول: " أكثر القراء(اثنتا عَشْرَةَ) بإسكان الشين، ولغة أخرى (اثنتا عَشِرَةَ عينا) بكسر الشين. و قد قرأ بعض القراء(عَشِرَةٌ) على هذه اللغة و كلاهما وجه جيد."[2] و مع أن هناك تفاوتا بين القراء في الأخذ بهذين الوجهين حيث أن أكثر القراء على لفظ (عَشْرَة) بإسكان الشين إلا أن الزجاج يسوي بينهما في الجودة.و الواقع أن القراءة بإسكان الشين هي قراءة الجمهور،[3]وهي لغة لأهل الحجاز،[4] بينما قراءة الكسرهي لغة لأهل تميم[1]

---

[1] المصدر نفسه ج124/2و ينظر قراءة اللفظ (بتسكين الراء) الإقناع في القراءات السبع،ابن خلف الأنصاري.تحقيق جمال الدين محمد شرف. طنطا. دار الصحابة للتراث ص 316، و قريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع: سيد لا شين أبو الفرج و خالد محمد الحافظ.المدينة المنورة. مكتبة دار الزمان. 1413ه، ص 229.

[2] معاني القرآن وإعرابه ج141/2. و ينظر أيضا ج115/1-321.

[3] البحر المحيط ج369/1

[4] معاني القرآن،للأخفش.تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد .بيروت،عالم الكتب 1985م ج271/1.

د- عرض أوجه القراءة الجائزة و تقييد القراءة بها بثبوتها. وفيها يتناول الزجاج أوجه القراءة المختلفة الجائزة، إلا أنه يقيد القراءة بوجه معين شريطة ثبوته عند قراء الأمصار و هذا يدل على أن الزجاج يعرض الأوجه الأخرى المستساغة نحويا، و قد يكون أحد هذه الأوجه قد قرئ به في آيات أخرى غير تلك التي هو بصدد توجيهها، و يمكن أن نؤكد هذا المسلك عنده بما ذهب إليه في توجيه قوله تعالى: "...فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ " آل عمران/159. حيث يرى أن (ما) بإجماع النحاة صلة أي زائدة و من ثمة لا تكف الباء عن عملها، والمعنى فبرحمة من الله لنت لهم، ووظيفة (ما) في الكلام هي التوكيد.[2] ثم قال: " و لو قرئت فبِمَا رَحْمَةٌ " من الله جاز، المعنى فيما هو رَحْمَةٌ" كما أجازوا " ... مثلا ما بعوضة" و لا تقرأن بها فإن القراءة سنة و لا يجوز أن يقرأ قارئ بما لم يقرأ به الصحابة أو التابعون أو من كان من قراء الأمصار المشهورين في القراءة ".[3] فقد أجاز الزجاج وجه الرفع.[4]

في (رحمة) قياسا على جوازه في (بعوضة) من قوله تعالى:" ...إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ". البقرة/26، ثم نفى علمه بوجود قراءة بها، و لا يحفظ من قرأ بهذا الوجه[5] ، يقول في توجيه لفظ (بعوضة) من الآية بعد أن أشار إلى قراءة النصب "... و الرفع في (بعوضة) جائز في

---

[1] المرجع نفسه ج271/1. و ينظر البحر المحيط ج370/1.

[2] معاني القرآن و إعرابه ج472/1.

[3] المصدر نفسه ج482/1. و ينظر أيضا ج116/1 و ج179/2-214-422 و ج374/3.

[4] ذكر الأخفش أن الرفع في (بعوضة) لناس من بني تميم كأنهم قالوا " إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا الذي هو بعوضة " ينظر معاني القرآن ج215/1.

[5] الرفع عند أبي حيان منسوب إلى الضحاك و ابراهيم بن إبي عبله و رؤبة وقطرب. ينظر البحر المحيط،ج198/1.

الإعراب،و لا أحفظ من قرأ به و لا أعلم هل قرأ به أحد أم لا، فالرفع على إضمار (هو) كأنه قال: مثلا الذي هو بعوضة، و هذا عند سيبويه ضعيف و عنه مندوحة ، و لكن من قرأ " تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ " الأنعام/154،و قد قرئ به – جاز أن يقرأ " مثلا ما بعوضة " و لكنه في (الذي أحسن) أقوى، لأن (الذي) أطول، و ليس للذي مذهب غير الأسماء"[1] . وواضح من توجيه الزجاج للرفع في (بعوضة) أن المشابهة بينها و بين (رحمة) من ناحية الإعراب و العربية لا من ناحية القراءة و الرواية و لهذا قيد هذا الجواز بقوله " جائز في الإعراب " كما يقوي هذا المعنى قوله " ولا أحفظ من قرأ به" " ولا أعلم هل قرأ به أحد أم لا " و من ثمة يتأكد أن المقصود جانب الإعراب لا جانب القراءة، و قد نتساءل لماذا هذه الافتراضات و هذا القياس الذي ذهب إليه الزجاج إذا كان الوجه لم يقرأ به، و لمْ تعلمْ قراءته عنده فلعل تفسير هذا شخصية الزجاج النحوية التي تحاول بين الحين

و الحين أن تبرز و يبرز معها القياس النحوي البصري الذي لم يتمكن الزجاج من التخلص منه وهو يتعامل مع القراءة القرآنية وبالتالي فهو يذهب مذهب جمهور البصريين. على جواز حذف عائد الصلة إذا كان مبتدأ في حالة طول الصلة، أما إن قصرت فلا حذف إلا مع (أي) الموصولة، أما الكوفيين فأجازوا – بناءا على القراءتين السابقتين – حذف العائد المرفوع مع غير (أيّ) سواء أطالت الصلة أم قصرت.[2]

هـ – عرض أوجه القراءة الجائزة واستبعاد وجه معين لتأكد عدم القراءة به.

---

[1] معاني القرآن و إعرابه ج103/1 و 104.

[2] البحر المحيط ج198/1.

وهذا المسلك يختلف عن سابقه ذلك أنه يقوم على علم الزجاج بما قرئ به وبما لم يقرأ، ويمكن أن نمثل له بما أورده في توجيه لفظ (الحَمْد) في قوله تعالى:"الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ... "الفاتحة /01 حيث أكد على وجه الرفع في لفظ (الحمدُ) واستبعد وجهي النصب والجر[1] لأنه لم يقرأ بهما ، وإن كانا من جهة العربية والكلام جائزين يقول: "(الحَمْدُ) رفع بالابتداء، وقوله (لله) إخبار عن الحمد، والاختيار في الكلام الرفع؛ فأما في القرآن فلا يقرأ فيه(الحمدُ) إلا بالرفع، لأن السنة تتبع في القرآن، ولا يلتفت فيه إلى غير الرواية الصحيحة التي قد قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة والرفع القراءة ".[2].

وتبقى القراءة بفتح الدال في (الحمد) جائزة في غير القرآن" ويجوز في الكلام أن تقول (الحمدَ) تريد أحمد الله الحَمْدَ فاستغنيت عن ذكر(أحمد) لأن حال الحمد يجب أن يكون عليها الخلق إلاّ أن الرفع أحسن وأبلغ في الثناء على الله عز وجل"[3] وهذا يعني أن نصب لفظ الحمد " على المصدر، وذلك أن أصل الكلام عنده على قوله (حَمْدًا لله) يجعله بدلاً من اللفظ بالفعل كأنه جعله مكان (أحمدُ) ونصبه على (أحمدُ) حتى كأنه قال : (أحمدُ حمدًا)ثم أدخل الألف واللام على هذه".[4]

---

[1] قراءة (الحمد) بكسر الدال نسبت إلى الحسن و رؤبة ،وبفتح الدال إلى إبراهيم بن أبي عبلة. ينظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : الحسين بن خالويه تحقيق محمد إبراهيم سليم . دار الهدى . عين مليلة.ص34

[2] معاني القرآن وإعرابه ج45/1. وينظر جامع البيان ج85/1

[3] معاني القرآن و إعرابه ج45/1

[4] معاني القرآن الأخفش ج156/1.

فقراءة النصب إذن" لها وجه من الإعراب ولكن المعنى فيها يختلف فالجملة الاسمية تدل على أن الله وحده المستحق للحمد أما الفعلية فتدل على إنشاء حمدٍ من المتكلم"[1]، ولهذا قال الزجاج عن هذا الوجه (تريد أحمد الله الحمدَ فاستغنيت عن ذكر (أحمد) لأن الحال الحمد يجب أن يكون عليها الخلق) وبالمقابل فإن وجه الرفع أحسن وأبلغ في الثناء على الله عز وجل ،ويقوى هذا التعليل بما ذكره الطبري عن هذه اللغة في تفسيره للآية حيث أنزل أشد العقوبة بقارئها " ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب لكان عندي محيلا معناه ومستحقا العقوبة على قراءته إياه كذلك إذا تعمد قراءته كذلك وهو عالم بخطئه وفساد تأويله ".[2] وأما اللغة الثالثة بجر (الحمدِ) فهي وجه لا ينبغي الالتفات إليه أصلا ولا يتشاغل بالرواية عنه ويعلل الزجاج سبب ذكره له :" وإنما تشاغلنا نحن برواية هذا الحرف لنحذّر الناس من أن يستعملوه أو يظن جاهل أنه يجوز في كتابة الله عز وجل أو في كلام ، ولم يأت لهذا نظير في كلام العرب ولا وجه له".[3] إذن فذكر هذا الوجه هو لاستبعاده ليس من القراءة فحسب بل من كلام العرب أيضا، ولعل هذا ما دفع أبا البقاء إلى تضعيفه استنادا إلى علة نحوية وهي اتباع الإعراب البناء يقول:" ويقرأ بكسر الدال اتباعا لكسرة اللام كما قالوا المعيرة ورغيف وهو ضعيف في الآية لأن فيه اتباع الإعراب البناء.[4]

---

[1] معاني القرآن و إعرابه (الهامش) ج45/1.

[2] جامع البيان ج85/1.

[3] معاني القرآن و إعرابه ج45/1 - 46

[4] التبيان في إعراب القرآن ج5/1

- المفاضلة بين القراءات و الحكم عليها:

- ترتبط المفاضلة بين القراءات القرآنية والحكم عليها عند الزجاج بعرضه لمختلف أوجهها المقروء بها،حيث يعمد في كثير من الأحيان إلى اختيار وجه أو أكثر منها يكون قد تطابق و اتفق مع الضوابط التي أعدها واحتكم إليها من جهتي الأثر أو اللغة، ثم يتبع اختيارهَ هذا بإصدار جملة من الأحكام و النعوت حول المفضل منها عنده. و قد تعددت و كثرت هذه النعوت في كتابه "معاني القرآن" فلا يكاد يخلو موطن مناقشة منها إلا و يذكر لفظ أجود و أكثر،و جيد وحسن،و صواب و بالغ و قوي....وهذا الحكم على القراءة يحشر الزجاج مع مجموعة النحويين الذين يفاضلون بين القراءات المختلفة فلا فرق بينه و بينهم في هذا المسلك.و من أكثر النعوت دورانا في كتابه" معاني القرآن":

- الحكم على القراءة بالجودة. و نلمس هذا في توجيه قوله تعالى:" قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالحَقِّ..." البقرة/71. حيث ذكر أن في قراءة قوله تعالى (قَالُوا الآنَ) "أربعة أوجه حكى بعضها الأخفش،فأجودها

"قَالُوا الآن" بإسكان اللام و حذف الواو من اللفظ" [1] ومثل هذا ما أورده في توجيه قوله تعالى"إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيكُم المَيْتَةَ..." البقرة/173 حيث يرى أن أصل الميتة هو"المَيْتَة و حذفت الياء الثانية استخفافا لثقل الياءين والكسرة،والأجود في القراءة المَيْتَةُ"[2]

[1] معاني القرآن و إعرابه ج152/1و ينظر معاني القرآن. الأخفش ج282/1

[2] معاني القرآن وإعرابه ج243/1 «و الأصل الميِّتة بالتشديد لأن بناءه فيعله،و الأصل ميوته فلما اجتمعت الياء و الواو و سبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء و أدغمت فمن قرأ

- و قد يجمع الزجاج في الحكم على القراءة بالجودة و الكثرة معا:و مثاله توجيه قوله تعالى"إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا" البقرة/70 إذ أن"القراءة في هذا على أوجه،فأجودها و الأكثر "تَشَابَهَ عَلَيْنَا" على فتح الهاء و التخفيف،و يجوز تَشَّابَهَ عَلَيْنَا..."[1]

- كما يصف القراءة الواحدة أو القراءتين بالصواب و الحسن كما هو حال توجيه قوله تعالى:«فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا» البقرة/36. حيث وضح أوجه القراءة في الفعل (أزلهما) و ما يؤول إليه من معنى لينتهي إلى الحكم يقول:"وقد قرئ "فَأَزَالَهُمَا الشَّيْطَانُ" من زُلْتُ و أزالني غيري، و أَزَلَّهُمَا من زَلَلْتُ وأَزَلَّنِي غَيْرِي. و لزللت هنا وجهان:يصلح أن يكون فأزلهما الشيطان"أي أكسبهما الزلة والخطيئة، و يصلح أن يكون فأزلهما نحاهما" و كلا القراءتين صواب حسن"[2]

- أو يكون للقراءة وجه فيحكم عليه بأنه أقوى كما يظهر في توجيه قوله تعالى:" فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ" البقرة/37 قال:"و قرأ ابن كثير فتلقى آدم من ربه كَلِمَاتٌ، والاختيار ما عليه الإجماع وهو في العربية أقوى..."[3]

و يتصل بمبدأ المفاضلة بين القراءات و اختيار وجه من أوجهها ثم تقويتة ما أورده الزجاج في توجيه قوله تعالى:"وَ لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ"

بالتشديد أخرجه على الأصل،و من خفف حذف الواو التي هي عين و مثله سيد وهين في سيِّد و هيِّن» ينظر التبيان في إعراب القرآن ج76/1.

[1] معاني القرآن و إعرابه ج154/1 .

[2] معاني القرآن و إعرابه ج115/1. و قراءة الفعل(أزلهما) بألف و تخفيف اللام هي قراءة حمزة،و باقي السبعة بتشديد اللام و حذف الألف.ينظر:تقريب النشر في القراءات العشر ص91 و التيسير في القراءات السبع.ص63

[3] معاني القرآن و إعرابه ج116/1 – 117

البقرة/168 حيث ذكر أوجه القراءة المختلفة بما في ذلك ما شذ منها إلا أنه يتخذ لها تخريجا لغويا جائزا عند أهل العربية يقول:"أكثر القراء[1] على ضم الخاء و الطاد و إن شئت أسكنت الطاء من (خُطْوَات)[2] لثقل الضمة و إن شئت خُطَوَاتِ و هي قراءة شاذة و لكنها جائزة في العربية قوية. وأنشد الخليل وسيبويه و جميع البصرين النحويين:

وَ لَمَّا رَأَوْنَا بَادِيًا رُكَبَاتُنَا عَلَى مَوْطِنٍ لاَ نَخْلِطُ الجَدَّ بِالهَزْلِ"[3]

والشاهد في البيت الشعري الذي ذكره الزجاج و نسب إنشاده للخليل وسيبويه و جميع النحويين البصريين أن لفظ (رُكَباتنا) روي بفتح الكاف بعد ضم،و هذا يشبه تماما قراءة (خُطَوات). و بهذا يكون الزجاج قد قوى- بما روي من شعر ولغة عن أهل العربية- قراءة كان قد أشار إلى شذوذها

و هي قراءة أبي السمال كما ذكر أبو حيان الأندلسي.[4]

و قد يلجأ الزجاج إلى تقوية قراءة متواترة بأخرى شاذة مثلما أورده في توجيه قوله تعالى: "وَ أَنَّ اللهَ لاَ يضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِين." آل عمران/171 حيث ذهب إلى أن فتح همزة (أَن)[5] على أنها و ما دخلت عليه في موضع جر بحرف

---

[1] القراءة بضم الطاء نسبت لقنبل و حفص و ابن عامر و الكسائي ينظر التيسير في القراءات السبع ص 67 و الإقناع في القراءات السبع ص 302.

[2] القراءة بالسكون في الطاء نسبت لنافع و أبي عمرو و حمزة و خلف و أبي بكر و البزي ينظر: تقريب النشر في القراءات العشر ص91 .

[3] معاني القرآن و إعرابه ج241/1

[4] البحر المحيط ج 101/2.

[5] قرأ (إن) بالكسر على الاستئناف الكسائي ، وقرأ (أن) بالفتح باقي القراء السبعة. ينظر التيسير في القراءات السبع ص 76، والنشر في القراءات العشر ج244/2 ، وتقريب النشر في

جر محذوف.و التقدير:و يستشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين و كذلك هي في قراءة عبد الله (و الله لا يضيع).فهذا يقوى و "إن" بالكسر.[1]

- نقد القراءة القرآنية :

تأكد في الصفحات السابقة أن الزجاج وهو يعالج أوجه القراءة القرآنية شديد التمسك بالنقل والأثر في قراءة وجه الآية وروايتها ،فلا ضابط يركن إليه إلا ما ثبت وكان عليه المصحف الشريف. غير أننا ونحن نتابع هذه المعالجة في كتابة "معاني القرآن وإعرابه" نجد له وَجْهًا آخر، وصورة مختلفة عمّا عرفناه عنه، إذ يظهر فيها الزجاج مظهر النحوي القياسي المتشدد إزاء القراءة فيصدر حولها أوصافًا وأحكامًا لا تختلف ألفاظها عن تلك التى نقلتها لنا كتب الدرس النحوي والقرآني عن النحويين عموما والبصريين على وجه الخصوص من وصف للقراءة بالضعف والرداءة والغلط والقبح والكره ،والبعد، والتشدد في شرط قبول القراءة لا سيما من وجهة ضابط العربية[2] .. وقد يتعدى هذا الوصف إلى القارئ فينعت بعدم المعرفة، أو أنه لحن وأخطأ في القراءة ولو كان قارئها من أصحاب القراءة المتواترة.[3] وسأحاول من خلال نصوص كتابه المعاني تأكيد هذه الشخصية النحوية القياسية.

أ- وصف القراءة بالضعف. ويظهر هذا مثلا في توجيه قوله تعالى:"ولا يَحْسَبَنَّ الذّين كَفَرُوا سَبقُوا.... " الأنفال /59 حيث قرئ الفعل (يحسبن) بالتاء

القراءات العشر ص 102.وفي البحر المحيط قراءة (إن)بالكسر للكسائي وجماعة وقراءة (أن) بالفتح لباقي السبعة والجمهور ينظر ج 434/3.

[1]معاني القرآن وإعرابه ج 489/1.

[2]أصول النحو العربي:د. محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية 2002،ص 44-45.

[3]نظرية النحو القرآني: د. أحمد مكي الأنصاري. ط1. دار القبلة للثقافة الإسلامية .مكة المكرمة .1405هـ.ص 20-21.

على أن الخطاب للرسول –صلى الله عليه وسلم- وقرئ بالياء على أن الفاعل مضمر.[1] وقد حكم الزجاج على هذه القراءة بالضعف مع إجازتها وهو يقول:" وقد قرأ بعض القراء(ولا يَحْسَبَنَّ) الذين كفروا بالياء ووجهها ضعيف عند أهل العربية إلا أنها جائزة..."[2]

ب- وصف القراءة بالرداءة: ومن ذلك ما أورده في توجيه قوله تعالى:" أَفَمَنْ يَهْدِي إِلى الحَقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهْدِى..." يونس/35 حيث أورد روايتين عن عاصم في قراءة لفظ (يَهْدِي) ثم نعت القراءة الثانية منهما بالرداءة يقول:"قرأ عاصم " أَمَّنْ لا يَهِدِّى مكسورة لالتقاء الساكنين،ورويت عن عاصم أيضا(يِهِدِّي) بكسر الهاء والياء،اتبع الكسرة وهي رديئة لنقل الكسرة في الياء".[3]. ومع أن القراءة الثانية [4] روايتها عن عاصم وهو أحد القراء السبعة إلا أن الزجاج لا يعتد بها فهي وجه رديء عنده .

ج- وصف القراءة بالغلط والطعن في القارئ ومن ذلك ما جاء في توجيه قوله تعالى:" وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدمَ" البقرة/ 34 قال :" قرأت القراء (للملائكة اسْجُدُوا) بالكسر ،وقرأ أبو جعفر المدني وحده (للملائكةُ اسْجُدُوا) بالضم، وأبو جعفر من جلّة أهل المدينة وأهل الثبت في القراءة إلا أنه

---

[1] التبيان في إعراب القرآن ج9/2. وقراءة الفعل (يحسبن)بالياء منسوبة إلى ابن عامر وحمزة ينظر النشر في القراءات العشر ج 277/2.

[2] معاني القرآن وإعرابه. ج421/2 .وينظر ج 90/1.

[3] المصدر نفسه ج19/3 وينظر أيضا ج375/1 و ج90/3.

[4] قراءة الكسر في الياء والهاء (يَهِدِّي) منسوبة روايتها لأبي بكر وهو شعبة بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي المتوفى سنة 194هـ. ينظر التيسير ص19 و 99 والنشر في القراءات العشر ص122 وتقريب المعاني ص 278.

غلط في هذا الحرف لأن الملائكة في موضع خفض ، فلا يجوز أن يرفع المخفوض ولكنه شبه تاء التأنيث بكسر ألف الوصل لأنك إذا ابتدأت قلت اسْجُد ، وليس ينبغي أن يقرأ القرآن بتوهم غير الصواب".[1] وواضح من هذا النص كيف طعن الزجاج القارئ أبا جعفر المدني وهو من جلّة أهل المدينة وأهل الثبت في القراءة ،كما نص هو نفسه. وقد عقب أبو حيان الأندلسي على تغليط الزجاج لأبي جعفر ومنكرًا عليه الوصف قائلا :" ...وإذا كان ذلك في لغة ضعيفة ،وقد نقل أنها لغة أزد شنوءة فلا ينبغي أن يخطأ القارئ بها ولا يغلط ،والقارئ بها أبو جعفر أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضا عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة".[2] ثم يعلل أبو حيان وجه هذه القراءة على أن أبا جعفر إنما"ضم التاء لشبهها بألف الوصل ،ووجه الشبه أن الهمزة تسقط في الدرج لكونها ليست بأصل والتاء في الملائكة تسقط أيضا لأنها ليست بأصل ،ألا تراهم قالوا:الملائكُ؟ وقيل ضمت لأن العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها".[3]كما اعترض ابن الجزري على هذا الطعن بعد أن قدم التعليل نفسه الذي ذكره أبو حيان ثم قال :" ولا التفات إلى قول الزجاج ولا إلى قول الزمخشري ،وإنما تستهلك حركة الإعراب بحركة الإتباع إلا في لغة ضعيفة كقولهم:الحمدِ للهِ لأن أبا جعفر إمام كبير ... وهو لم ينفرد بهذه القراءة بل قد قرأ بها غيره من السلف ...وإذا ثبت مثله في كلام العرب فكيف ينكر؟ ".[4]

---

[1] معاني القرآن وإعرابه ج1/111-112

[2] البحر المحيط ج 246/1.

[3] المرجع نفسه ج 246/1 ، وينظر النشر في القراءات العشر ج 210/2.

[4] النشر في القراءات العشر ج210/2-211.

د- وصف القراءة بالخطأ، ومثله ما أورده الزجاج في توجيه قوله تعالى:« واتَّقُوا الله الذي تَسَاءلُونَ به والأَرْحَامِ» النساء/01حيث يرى أن قراءة الجر في لفظ (الأَرْحَامِ)غير جائزة وهي خاطئة إلا إذا تعلق الأمر بضرورة شعر يقول :" القراءة الجيدة نصب (الأَرْحَامَ)... فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر ، وخطأ أيضا في أمر الدين عظيم لأن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال:لا تحلفوا بآبائكم فكيف يكون تساءلون به وبالرحم على ذا .[1]

فمما لاشك فيه أن الزجاج بهذا التوجيه محتكم إلى أصوله النحوية البصرية التي ترفض عطف الاسم الظاهر على الضمير المتصل دون إعادة حرف الجر، علما أن هذه القراءة أي – قراءة الجر –

كما يؤكد أبو حيان الأندلسي هي " قراءة متواترة عن رسول الله – صلى الله عليه و سلم – واتصلت بأكابر قراء الصحابة... مثل عثمان وعلي وابن مسعود و زيد بن ثابت وأقرأ الصحابة أبي بن كعب."[2] ومع كل هذا التوثيق الدقيق لهذه القراءة المحكمة المتواترة فقد رفضها الزجاج و حاول أن يتلمس لها – بعد العربية – دليلا آخر يتعلق بالجانب الشرعي في الحلف بغير الله تعالى ، وقد كان من قبل حريصا على أن تكون القراءة رويت عن أكابر الصحابة أو يكون قد قرأ بها من يثق بقراءته و غيرها من الضوابط التي احتكم إليها في قبول وجه القراءة .

---

[1] معاني القرآن وإعرابه ج 06/2 وينظر ج 1/ 398.

[2] البحر المحيط ج499/2-500.

هـ- وصف القراءة بالرذالة و الرداءة ومثل هذا ما أورده في توجيه قوله تعالى: "...وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ " إبراهيم/ 22، حيث يقول:" قرئت بِمُصْرِخِيَّ بفتح الياء كذا قرأه الناس، و قرأ حمزة و الأعمش بِمُصْرِخِيِّ بكسر الياء. وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة و مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين ..." [1]. و الذي ذكر هذا الوجه في الحقيقة هو الفراء في معانيه بعد أن نقد الوجه و رمى قارئيه بالوهم ثم حاول تخريجه على ما سمعه من كلام العرب[2] وقد أشار إلى قول الفراء الزجاج فيما بعد قائلا :" وأجاز الفراء على وجه ضعيف الكسر ، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر و أنشد :

قَالَ لَهَا هَلْ لَكِ يَا تَافِي قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالمَرْضِيِّ

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه وعمل مثل هذا سهل و ليس يعرف قائل هذا الشعر من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب الله عز وجل."[3]. والحقيقة أن البيت الذي ذكره الفراء مستندا إليه في إثبات القراءة الثانية على ضعفها إعتبره الزجاج بيتا لا يعرف قائله ولا يمكن أن يحتج به في توجيه ما ورد في كتاب الله تعالى.و ليس الصواب كما ذهب الزجاج فقد أثبت قائله البغدادي وعلق على قول الزجاج قائلا " قلت: ليس بمجهول قد نسبه غيره إلى الأغلب العجلي الراجز و رأيته أنا في ديوانه"[4].

---

[1] معاني القرآن وإعرابه ج159/3-160.

[2] المصدر نفسه ج75/2-76.

[3] المصدر نفسه ج159/3-160.

[4] خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي . تح عبد السلام هارون. دار الكاتب العربي . القاهرة. ج258/2-259. و الأغلب العجلي شاعر جاهلي إسلامي أسلم و هاجر ثم استشهد في وقعت "نهاوند". ينظر الخزانة ج333/1.

وهذه القراءة التي طعن فيها الزجاج هي قراءة متواترة[1] تشهد على صحة مارواه الفراء من شاهد شعري و إن كان فتح الياء في مثلها هو الكثير و الشائع في كلام أهل العربية وكذلك في القراءة و هو القياس، لأن المضاف جمع مذكر سالم أدغمت فيه ياء المتكلم و هي المضاف إليه في الياء الساكنة و التي هي علامة إعراب جمع المذكر السالم المجرور، فهي إذن ساكنة لا تقبل التحريك يجب فتح ياء المتكلم معها.

و- وصف القراءة بالقبح، ومثاله ما ذكره الزجاج في توجيه قوله تعالى:" ...وأَرِنَا مَنَسِكَنَا..."البقرة/128 قال: " و تقرأ أيضا (و أرنا) على ضربين: بكسر الراءِ و بإسكانها، و الأجود الكسر، و إنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فَخِذ و عَضُد و هذا ليس بمنزلة فخذ و لا عضد، لأن الأصل في هذا (أَرْئِنَا) فالكسرة إنما هي كسرة همزة ألقيت و طرحت حركتها على الراء فالكسرة دليل الهمزة فحذفها قبيح ."[2]

- فهذه أمثلة وغيرها كثير يكشف الوجه الآخر للزجاج النحوي الذي يخضع وجه القراءة للعرف النحوي اللغوي عنده . وهذا ليس غريبا فهو رجل نحو قبل أن يكون رجل قراءة ، وخلاصة القول لما تقدم فإننا يمكن أن ننتهي إلى تقرير ما يلي:

- الزجاج شخصية أثرية نقلية فيما يتعلق بالاحتكام إلى ما جاء به المصحف الشريف قراءة ورواية و رسما وهذا عند مناقشة أوجه القراءة المختلفة .

---

[1] قراءة حمزة بكسر الياء في (مصرخي) وباقي العشرة بفتحها ينظر تقريب النشر ص 129 . وفي التيسير هي قراء ة حمزة وهي لغة حكاها الفراء و قطرب .ص 109.

[2] معاني القرآن و إعرابه ج209/1

-الزجاج نحوي قياسي فيما يتعلق الأمر باختيار و تفضيل وجه من أوجه القراءة استنادا إلى العربية و القواعد المعروفة لديه.

-الزجاج نحوي متشدد إزاء القاعدة النحوية ، فهو لا يختلف كثيرا عن أصحابه البصريين الذين نعتوا القراءة بمختلف الأوصاف من ضعف و رداءة وقبح و تشذيذ وغيرها من الأوصاف.